

الإعجاز العلمي في التقاء البحرين في القرآن الكريم

الباحث: د. حماد بن مهدي بن عمران السلمي

محاضر بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز بجدة

Email: hammadsulami@hotmail.com

الملخص

التقاء البحرين من الظواهر الكونية التي أخبر عنها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً، ومع تطور العلم ظهرت الاكتشافات التي تفسر هذه الظاهرة علمياً، مما أدت إلى نتائج جلت لنا بعضاً من أوجه الإعجاز العلمي لها، فجاء هذا البحث لتفسير هذه الظاهرة تفسيراً علمياً وبيان أوجه الإعجاز العلمي فيها، وتحقيق المطابقة بين دلالة الآيات وما اكتشفه العلماء من حقائق ونظريات حولها. وسلك الباحث في بحثه المنهج التحليلي لتفسير الآيات، والاستقراء للدراسات النظرية والتجريبية حول هذه الظاهرة، والاستدلالي بمعاني وإشارات الآيات على هذه الظاهرة، وتوصل الباحث إلى أن وصف القرآن البحار عند التقائها كان بأوجز تعبير، مما تحار معه العقول عند تفسيره وبيان وجه إعجازه، وأن الالتقاء يكون بين مياه البحار، وبينها وبين مياه الأنهار، وتسمى منطقة التقاؤهما البرزخ، وفي العلم الحديث تسمى المصب المائي، وقد تمكن العلماء من دراسة خواص كل ماء، مما فسّر لهم الحقيقة التي أخبر عنها القرآن وهي عدم امتزاج البحرين، مع أن جوهرهما واحد. وقد أوصى الباحث بضرورة الاهتمام بالتفسير العلمي للظواهر الكونية، فإنها تكشف عن أمور تعزز الإيمان، وتقوي اليقين بالله، ومحاولة الدعوة والهداية من خلال التوسع في دراسة الإعجاز العلمي بضوابطه على نحو صحيح، لأنه يُعنى بجانب الأدلة العقلية التي تؤيد صحة هذا الدين وصدق النبوة.

الكلمات المفتاحية: التقاء، الإعجاز، البحرين، العلمي.

Abstract

The estuary is a natural phenomenon that the Holy Koran tackled 14 centuries ago. With the development of scientific discoveries that explain this phenomenon , many scientific theories came out . So this research helps to clarify the scientific miracles of the phenomenon and to match them with the verses of this concern in the Holy Koran. The researcher adopts the analytic approach to interpret the verses and the inductive approach to study the theory, the experimental approach and the inference approach to clarify the meanings and the signs implicit within the verses . The researcher concluded that the Holy Koran explained this phenomenon concisely. The meeting point between the river water and the sea water is called Albarzakh " or estuary in modern science. scientists studied the qualities of each water and so they explained what has been mentioned in the Holy Koran around the meeting between the sea water and the river water even though their qualities differ completely without being mixed. The researcher recommended the necessity of giving more attention to the scientific explanation of the natural phenomena as they reveal matters that reinforce faith, piety and call for the way of Allah through a thorough a mere scientific study of this natural phenomenon to point out the idea that Religion Islam and the prophet peace be upon him are believable.

Keywords: science, miracles, meeting, the Sea slated water, the fresh river water.

المقدمة

الحمد لله الذي دلت على عظمته بديع مخلوقاته، وجعل فيما خلق دلائل معجزاته، وأشهد ألا إله وحده لا شريك له في أسمائه وصفاته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ببيئته، أنزل عليه القرآن معجزاً في نظمه وآياته، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه من خلق الله وبريائه، وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد

لقد أنزل الله القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومعه أول أنواع الإعجاز، وهو الإعجاز في نظمه المحكم، وبيانه المنتظم.

وقد دلت آيات القرآن الكريم على هذا الإعجاز القرآني العظيم، وهو الإعجاز البياني، ولقد تحدى الله بكلامه كفار قريش، وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، وهم لا ريب قد أدركوا من أسرار إعجازه البياني ما أسهم من محاولة الإتيان بلفظ يقوم مقام اللفظ منه، أو أن يأتيوا بآية على غير الوجه الذي جاءت به في البيان المعجز^(١)، قال تعالى: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة: ٢٣]، ويطلق على هذا النوع من الإعجاز عدة مصطلحات فيسمى: "الإعجاز اللغوي" و"الإعجاز البياني" و"الإعجاز البلاغي"^(٢)، وهو الإعجاز الذي كان محصوراً في عصر الرسالة.

ولقد أودع الله كتابه منهجاً يكفل للبشرية العيش بتكيف مع مرور الأزمان، وتغير نظم الحياة والمجتمعات، فشرع فيه شريعة كاملة وافية بمطالب البشر في كل زمان ومكان، وفي كل حكم من أحكامه، فالقرآن معجز في تشريعه، ويكفي من ذلك أنه يخلو تماماً من التناقض والاختلاف بين هذه القوانين والتشريعات، وهذا وجه الإعجاز التشريعي في القرآن.

وبقيت حقائق وأسرار هذا القرآن خالدة منذ نزوله إلى زماننا الحاضر، مما يتعلق بالحياة والكون والإنسان والطبيعة، ومع تطور العلم التجريبي والتقني، أمكن الكشف عن الحقائق العلمية، والتعبير عنها على نحو لا يحتمل اللفظ القرآني أكثر مما يحتمل لإثبات الحقيقة العلمية.

فدأب علماء العصر الحديث على تأمل الإشارات القرآنية المتعلقة بالطبيعة والإنسان والكون المتوقعة على التجربة والاختبار، مع مراعاة المنهج القرآني في تفسير الآيات تفسيراً علمياً، فظهرت دلائل ونتائج علمية في ظواهر الكون والطبيعة وخلق الإنسان والحيوان والطعام تدل على إعجاز القرآن الكريم.

ومن الظواهر التي غُنيت بها في هذا البحث الإعجاز العلمي في التقاء البحرين.

١ - الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، بنت الشاطي (ص: ١٢).

٢ - دراسات في علوم القرآن الكريم، الرومي (ص: ٢٨٢).

لقد تحدث القرآن العظيم عن هذه الظاهرة في ثلاثة مواضع، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَدْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا) [الفرقان: ٥٣]، وقال تعالى: (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) [النمل: ٦١]، وقال تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) [الرحمن: ١٩-٢٠].

فالذي يتأمل الآيات يدرك أن القرآن يخبر عن معجزة آية، فبمعرفة معنى المَرَج اللغوي نجد أنه يأتي بمعنى الخلط والامتزاج، وهذا يدل على أن البحرين امتزجا واختلط كلُّ منهما بالآخر، وبمعرفة معنى الالتقاء المعنوي الذي يدلُّ على المماساة والمحاذة دون الامتزاج، فلا يطغى أحدهما على الآخر، وهذا ما بيّنه سبحانه وتعالى في آية الرحمن، قال تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) [الرحمن: ٢٠]، فكيف كان ذلك رغم أن جوهرهما واحد، وهو الماء، وكلُّ منهما له ذات الخصائص الفيزيائية والكيميائية؟!.

وتم اكتشاف هذه الظاهرة الكونية العجيبة في القرن التاسع عشر بعد رحلة سفينة تشالنجر البريطانية، التي كشفت عن مناطق في البحار والمحيطات تختلف فيها أنواع المياه في مكان واحد دون تمازج، فكانت هذه بمثابة معجزة، وكان قد أخبر عنها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً.

فجاء هذا البحث لدراسة كيفية حدوث هذه الظاهرة الكونية الإعجازية التي أشار إليها القرآن العظيم، وبيان الإعجاز العلمي في التقاء البحرين بعدما أثبتت الدراسات والأبحاث العلمية الدقيقة بتقنيات فضائية ووسائل حديثة هذه الظاهرة الكونية، في حين لم تكن هذه التقنيات والاكتشافات موجودة في عصر النبوة والصحابة ومن بعدهم، رغم أن معاني هذه الآيات وتفسيرها معلومة عندهم.

وتتم دراسة الموضوع وفق منهج استقرائي تحليلي استدلالی. يقوم الباحث بتتبع الآيات التي تحدثت عن التقاء البحرين لفظاً ومعنى، ومن ثم العناية بتفسير الآيات تفسيراً تحليلياً لألفاظ الآيات ودلالاتها اللغوية ومعانيها الإجمالية، وجمع آراء المفسرين، ثم عرض جانب التفسير العلمي موثقاً بالشواهد العلمية الكيميائية والفيزيائية والتقنية والرسوم التوضيحية البيانية والعينات المختبرية بقدر المستطاع، ومن ثم الاستدلال بها على وجود الظاهرة الكونية مع تحقيق وجه المطابقة بين دلالة الآيات ونتائج الدراسات والأبحاث التجريبية.

الفصل الأول

الإعجاز العلمي

لقد جعل الله التفكير في الطبيعة والنظر في الكون من دواعي الإيمان به، قال تعالى: (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران: ١٩١] كما أنه يثير جانب الحس العلمي عند الإنسان، ففتح الله عيونهم على مظاهر الكون والطبيعة من حولهم، وأوجد لهم من أبواب المعرفة والعلم ما جعلهم يفسرون إشارات القرآن الكريم إلى هذه الظواهر الكونية، ومع تقدم العلوم النظرية والتجريبية ظهرت أوجه إعجاز كثير من الظواهر الكونية، ومن مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن ذلك التوافق التام بين الحقائق العلمية الثابتة، وبين آيات القرآن، فأية مسألة علمية أشار إليها القرآن ثبتت بالعلم النظري والتجربي والوسائل التقنية تكون محققة لما حث عليه القرآن من تفكير سليم، ولا تتعارض معه بحال من الأحوال، ليأصل بذلك معنى ارتباط هذا الوجود بما فيه الإنسان بالخالق، إذ إن الهدف الأساسي للقرآن الكريم هو تبصير الإنسان بطريق الهداية ودعوته لسلوكها، قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء: ٩].

ومن أساليب الدعوة إليها الاستدلال بواقع الأشياء المحسوسة وإيراد الآيات الكونية سواء ما يتعلق منها بالآفاق، أو بالأنفس البشرية، أو ما يتعلق بالطبيعة، فإن ورود هذه الحقائق على لسان رجل لم يكن له إمام بمثل هذه العلوم دليل على أنه تلقاها ممن يعلم السر في السماوات والأرض.

ولا يزال الكون وما يجري فيه يشرح القرآن ويفسره ويكشف الستار عن كثير من إعجازه وأسراره، ومن هذه الظواهر التي أشار إليها القرآن النقاء البحرين، وكيف التقى البحرين وهما سائلان بكتلة واحدة وكثافة واحدة ولم يمتزجا، وبقي كل منهما ملاصقاً مُماساً للآخر؟!، وهو ما سيتعرض إليه بحثي هذا مبيناً فيه وجه الإعجاز العلمي، وقد جاء هذا الفصل في خمسة مباحث، كما سيأتي.

المبحث الأول: تعريف الإعجاز العلمي

لا بد من تعريف الإعجاز في القرآن أولاً قبل الشروع في تعريف اللفظ المركب، ومعناه: هو عجز الخلق قاطبة عن الإتيان بشيء من مثله، وهو كتاب معجز في بيانه ولفظه، معجز في فصاحته، وبلاغة أسلوبه، معجز في كمال رسالته ومضمونه.

فهو يدل على العجز، وهو ما يقابل القدرة، فتحداهم الله بأن يأتوا بمثله، أو بعشر سور بسورة، بل بأقل من ذلك وهو سورة، وفي ذلك إعجاز لهم، قال تعالى: (قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِجُ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: ٨٨].

وأما الإعجاز العلمي فقد عُرّف بعدة تعاريف، لعلّ أدقّها وأقربها للصواب هو: إخبار القرآن الكريم أو السُنّة بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا مما يُظهر صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عن ربه سبحانه^(١).

فهو يعني: إثبات الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين^(٢)، وهو يتناول دراسة الآيات التي وردت فيها إشارة إلى قضايا علمية تتعلق بالفلك أو الطب أو العلوم الطبيعية ونحوها^(٣).

المبحث الثاني: الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي

لبيان الفرق بين الإعجاز والتفسير العلمي، لابد من تعريف التفسير العلمي، وقد عُرّف بعدة تعاريف، منها: هو الكشف عن تفاصيل معاني الآية في ضوء ما ثبتت صحته من نظريات العلوم الكونية التجريبية^(٤)، وقيل: التفسير العلمي بالعلوم التطبيقية أو الطبيعية للقرآن الكريم؛ وذلك حتى لا يفهم أن التفاسير الأخرى ليست علمية^(٥).

ومن خلال التعريف يتضح أن التفسير أعمّ من الإعجاز العلمي، ومن الفروق بينهما كذلك:

- أن التفسير العلمي يتناول الإشارات الضمنية في تفسير النصوص الكونية، أما الإعجاز العلمي فهو يختص بالتوفيق بين إشارات النصوص القرآنية والحقائق الكونية.

- أن التفسير العلمي مختلف في جوازه بين أهل التفسير، بينما الإعجاز العلمي متفق على جوازه.

- يقع الخطأ في التفسير العلمي إذا لم تراعى ضوابطه وشروطه، وأما الإعجاز العلمي فالخطأ فيه أقل.

- في التفسير العلمي للآيات الكونية نوظف كلّ المعارف المتاحة من الحقائق والثوابت العلمية لتفسير إشارات القرآن إليها، أما الإعجاز العلمي: فلا يجوز أن يُوظف فيه إلا القطعيّ من الثوابت العلمية^(٦).

١- الإعجاز العلمي في القرآن والسُنّة، المصلح وآخرون (ص: ٢٨).
٢- الإعجاز العلمي في القرآن والسُنّة، المصلح وآخرون (ص: ١١٠).
٣- محاضرات في علوم القرآن، قدوري (ص: ٢٤٩).
١- الإعجاز العلمي في القرآن، مجموعة من الباحثين (ص: ٣٨).
٢- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرومي (٥٤٧/٢).
٣- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المصلح وآخرون (ص: ١٠٠).

المبحث الثالث: ضوابط التعامل مع قضايا الإعجاز العلمي.

أولى كثيرٌ من العلماء المعاصرين الإعجاز العلمي في القرآن عناية واهتمامين بالغين، فاتجهوا هذا الاتجاه من غير ضوابط، على الرغم من حماس أصحابها وصدق مشاعرهم قد أدت إلى نتائج عكسية، مما جعل كثيرا من الناس يحملون على هذا الاتجاه حرصا منهم على إبعاد القرآن الكريم من مجال الإخضاع للنظريات العلمية المتقلبة، أو التعسف في تأويل النصوص أو تحميلها ما لا تحتل من الدلالات، إلا أن طرفي القضية قد وقع في محذور، فالذين اتجهوا هذا الاتجاه من غير ضوابط تكبح جماح الفكر والخيال والسعي وراء النظريات قد أفرطوا ووقعوا في أخطاء ينبغي تنزيه القرآن الكريم من مثل ذلك، وكذلك الطرف الآخر الذين منعوا هذه البحوث وحاولوا سد الباب أمام الباحثين قد فرطوا في مئات الآيات ولم يعطوها حقها في التدبر والبحث، ومنعوا الدعاة من حمل سلاح من أمضى الأسلحة في العصر الراهن لإقامة الحجة على ملاحدة العصر، وإثبات صحة الرسالة وصدق الرسول، هذا ما يجعلنا نضع ضوابط محددة قبل دراسة الإشارات القرآنية إلى الآيات الكونية^(١).

وهذه الضوابط منها ماهو ضوابط عامة، ومنها ماهو ضوابط منهجية دقيقة، أما الضوابط العامة فهي^(٢):

- أن القرآن كتاب هداية، فينبغي أن تبقى الدراسات القرآنية المتعلقة بالآيات الكونية في حدود هذا الغرض، ولا تؤثر على الهدف الأساسي للقرآن الكريم.
- ترك الإفراط والتفريط: عدم التفريط في البحث عن دقائق خصائص هذه الأمور الكونية أو الإنسانية، وعدم الإفراط بحيث تهمل هذه الإشارات بصدد ما في الكون المسخر لمصلحة الإنسان.
- مرونة الأسلوب القرآني: فينبغي أن يكون معلوماً لدينا أن القرآن الكريم عندما يعرض القضايا الكونية أو الجوانب المادية أو المعنوية في الإنسان أو ما يحيط به، يستعمل أسلوباً مرناً يقبل وجوها للتأويل.
- الحقائق العلمية مناط الاستدلال: وذلك بأن تقتصر على الحقائق العلمية في صدد تفسير الآيات، ونبتعد عن الساحة الفرضيات والنظريات العلمية التي لم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية.
- عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة: فإذا وجدنا أن حقيقة علمية تؤيد دلالة الآية فلا بأس عندئذ أن نرجح الدلالة التي أيدتها الحقيقة العلمية، فتكون هذه الحقيقة إحدى وجوه دلالات الآية، وظلالها ممتدة إلى حقائق أخرى لم تتمكن من التوصل إليها حسب ثقافة عصرنا.

٤- مباحث في إعجاز القرآن، مسلم (ص: ١٥٩).

٥- مباحث في إعجاز القرآن، مسلم (ص: ١٥٩).

- استحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية: فالحقائق القرآنية المتعلقة بأيّ جانب من جوانب الكون أو الإنسان والحيوان والنبات قطعية الدلالة لا يمكن أن تصادمها حقيقة علمية توصل لها الجهد البشري، لأنهما من مشكاة واحدة. والضوابط المنهجية هي^(١):

- ١- إثبات وجود دلالة واضحة في النص تشير إلى الحقيقة الكونية المكتشفة من المتخصصين في العلوم الطبيعية والعلمية.
 - ٢- ثبوت تلك الحقيقة الكونية علمياً بعد توفر الأدلة التي تحقق سلامة البرهنة عليها.
 - ٣- ثبوت عدم إمكانية معرفة البشر بتلك الحقيقة الكونية على وجهها الذي يتحقق معه الإعجاز العلمي وقتّ تنزيل القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
 - ٤- تحقق المطابقة بين دلالة النص من كتاب الله عز وجل وبين تلك الحقيقة الكونية.
 - ٥- عدم الخوض في القضايا الغيبية غيبة مطلقة، كالذات الإلهية، والروح والملائكة، والجن، وحياة البرزخ، وحساب القبر، وغيرها، والتسليم بالنصوص الواردة فيها تسليماً إيمانياً كاملاً.
 - ٦- توظيف الحقائق العلمية القاطعة التي لا رجعة فيها في الاستشهاد على الإعجاز العلمي للآية، أو الآيات القرآنية في الموضوع الواحد.
- ومما يجدر الإشارة إليه أن هذه الضوابط يجب مراعاتها خلال التفسير العلمي، بدءاً من دراسة الآيات مع حقائقها التي أشارت إليها إلى أن تنتهي بإثبات وجه الإعجاز العلمي في الآيات.
- تشبيه: سيأتي في المبحث القادم قواعد الإعجاز العلمي، ولا بد من بيان الفرق بين الضابط والقاعدة، وهو أن الضابط يستصحب خلال مراحل الدراسة كاملة مع الالتزام به، أما القاعدة فهي تأسس لمنهج وطريقة الدراسة من بدايتها.

المبحث الرابع: قواعد الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

إن تفسير القرآن الكريم بالعلوم الحديثة لازال أمراً يكتنفه الرفض والقبول عند طائفة من العلماء المعاصرين، والحق أنه لا بد من قواعد تُراعى عند تفسير القرآن تفسيراً علمياً، ومنها^(٢):

١- الإعجاز العلمي في القرآن، مجموعة من الباحثين (ص: ٣١).
٢- الإعجاز العلمي في القرآن، مجموعة من الباحثين (ص: ٦٩).

- هذه النزعة التفسيرية محفوفة بالمخاطر صعبة المراس، فيجب أن تؤخذ بالكثير من الحيطة والحذر، والتسلح بالعلوم الدينية والدينيوية.

- حينما يشير القرآن إلى تلك الكونيات؛ فإنه يتحدث عنها بأسلوب لا يتعارض إطلاقاً مع أي حقيقة علمية ثابتة، وهذا شيء بدهي؛ لأن القرآن قول الله، والكون فعل الله، ويستحيل أن يتعارض قول الله مع فعل الله.

- أن الذي يجب أن نثبتته هو العلم ونلتمس له الدليل من القرآن، وليس العكس.

- لا يجوز لنا أن نعدل عن حقيقة اللفظ القرآني، ونتجه إلى معنى مجازي إلا إذا كانت هناك قرائن قوية تحيل الأخذ بحقيقة اللفظ.

- الحقائق العلمية الثابتة هي المعتبرة في مجال التفسير العلمي للقرآن، أما النظريات التي تحت التجربة، والخاضعة للفحص، فلا مكان لها في هذا المجال، فالآيات القرآنية حقائق ثابتة فلا تقسر إلا بحقائق ثابتة.

- يجب مراعاة معاني المفردات على النحو الذي كانت مستعملة فيه أثناء نزول القرآن، والحذر مما طرأ عليها من تطور بعد العهد النبوي.

- عدم قصر اللفظ على معنى واحد، ورد بقية المعاني الصحيحة الأخرى دون مرجح، طالما أن اللفظ يحتمل أكثر من معنى، وهو ما يميز ألفاظ القرآن.

- يجب مراعاة الأساليب البلاغية بصورها المتعددة، ودلالاتها المتنوعة.

- يجب الجمع بين كل الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد من هذه الموضوعات الكونية فلا تترك آية في نفس الموضوع.

المبحث الخامس: اعتناء العلماء بقضية الإعجاز العلمي:

معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل السابقين في كثير من زوايا الإعجاز، وللقرآن إعجاز لا يتنبه إليه العقل إلا بعد أن ينشط ويكتشف المستور عنه من حقائق الكون وأسراره، حينئذ يتبين أن للقرآن وجوه إعجاز أخرى أو جديدة تزيد في معنى الإعجاز أو تعطي أبعاداً جديدة لما يقال^(١).

١ - معجزة القرآن، الشعراوي (٢٣/١).

وقد سبق الأوائل من علماء المسلمين إلى بيان ما يحتويه القرآن من الإشارات العلمية، فقال ابن أبي الفضل المرسي في تفسيره: "جمع القرآن علومَ الأولين والآخرين بحيث لم يُحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم بها ثم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما استأثر به سبحانه وتعالى، ثم روت عنه- أراد عن النبي صلى الله عليه وسلم- معظمُ ذلك سائرُ سادات الصحابة وأعلامهم، إلى أن قال: ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة فذكر علم المواقيت والمعاني والبيان والبديع والطب والهيئة والهندسة والجدل والمقابلة وأصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها"^(١).

وقد اهتم بعض العلماء المتقدمين بالإعجاز العلمي إلا أن العلماء اتفقوا على أن الإمام الغزالي من أوائل المتكلمين في هذا النوع من التفسير؛ وعلى هذا فيكون ظهوره في أواخر القرن الخامس الهجري، واتفقوا أيضاً على أن الغزالي نفسه أكثر من استوفى بيان هذا القول إلى عهده^(٢)، وقَرَّرَ هذا الرأي في كتابيه "إحياء علوم الدين"، "وجواهر القرآن"، فقال: "أعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه، وهو مصيب في الإخبار عن نفسه؛ ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومحطه؛ بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعاً للأرباب الفهم"^(٣)، وعقد في كتابه جواهر القرآن الفصل الخامس منه لكيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن؛ فيذكر علم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه وعلم السحر وعلم الطلسمات وغير ذلك.

ثم يقول: "وراء ما عدته علوم أخرى يعلم تراجمها ولا يخلو العالم عن معرفها، ولا حاجة إلى ذكرها؛ بل أقول: ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التي لا يتمارى فيها أن في الإمكان والقوة أصنافاً من العلوم بعد لم تخرج من الوجود، وإن كان في قوة الأدمي الوصول إليها، وعلوم كانت قد خرجت إلى الوجود واندرست الآن؛ فلن يوجد في هذه الأمصار على بساط الأرض من يعرفها، وعلوم أخرى ليس في قوة البشر أصلاً إدراكها والإحاطة بها، ويحظى بها بعض الملائكة المقربين، فإن الإمكان في حق الأدمي محدود، والإمكان في حق المملك محدود إلى غاية في الكمال، بالإضافة كما أنه في حق البهيمة محدود إلى غاية في النقصان"^(٤).

ونجد كذلك الفخر الرازي أكثر من تطبيق التفسير العلمي في تفسيره، وتناول شتى العلوم والمعارف مما يبوئه درجة متقدمة في صفوف مؤيدي التفسير العلمي، فقد قرَّرَ هذا الرأي من أوجه، منها:

- "أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزاً لما ملأ الله كتابه منها.

٢- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٤/٣٠-٣١).

٣- التفسير معالم حياته، الخولي (ص: ٢٠).

١- إحياء علوم الدين، الغزالي (١/٢٩٦).

٢- ينظر جواهر القرآن، الغزالي (ص: ٣٠).

- أنه تعالى مدح المتفكرين في خلق السماوات والأرض، قال تعالى: (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران: ١٩١] ولو كان ذلك ممنوعاً منه لما فعل^(١).

وكذلك نجد أن السيوطي استعرض أوجه الإعجاز في كتابه "معتزك الأقران" ومن هذه الوجوه التي ذكرها: احتواء القرآن على علوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب، ولا أحاط بعلمها أحدٌ في كلماتٍ قليلةٍ وأحرفٍ معدودةٍ، وقال: "قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل، إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السماوات والأرض، وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى، وبدء الخلق، وأسماء مشاهير الرسل والملائكة، وعيون أخبار الأمم السالفة، إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات"^(٢).

الفصل الثاني

التقاء البحرين والإعجاز العلمي في الآيات

تحدث القرآن الكريم عن هذه المشهد الطبيعي الكوني المعجز في ثلاثة مواضع من كتابه العزيز، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا) [الفرقان: ٥٣]، وقال تعالى: (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) [النمل: ٦١]، وقال تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) [الرحمن: ١٩٠-٢٠].

والمعنى الإجمالي للآيات أن المشهد يصور التقاء البحرين بعد المرج، ثم يكون بينهما حاجزاً يفصل بينهما، ويمنع امتزاجهما وطغيان أحدهما على الآخر، فتبقى صورة الظاهرة الكونية الإعجازية وهي التقاء البحرين وبقاء كل منهما مُماساً للآخر، ملاصقاً له، مع احتفاظ كل منهما بخصائصه الفيزيائية وصفاته الطبيعية، في مظهرٍ إيمانيٍّ مهيبٍ، وصورةٍ تقشعر لها الأبدان.

وستتعرف من خلال هذا الفصل على المعنى اللغوي للالتقاء، والتفسيرين المأثور والعلمي للآيات وهل أحدٌ قال بتعيين البحرين؟، ووجه الإعجاز العلمي للآيات، من خلال خمسة مباحث على النحو الآتي.

٣- ينظر مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي (١٢١/١٣).

٤- الإتيان في علوم القرآن، السيوطي (١٢٥/٢-١٢٦).

المبحث الأول: الدلالة اللغوية لألفاظ الآيات:

الكلمات ذات الدلالة في هذه الآيات هي: مرج، حاجز، برزخ، يلتقيان.

- مرج: جاءت في آية الفرقان، والرحمن، وله ثلاث معانٍ، الأول: الخلط، قال ابن منظور: "أمر مريج؛ أي: مختلط"^(١)، وقال

الراغب الأصفهاني: "أصل المرج الخلط"^(٢)، وقال الزبيدي: "ومرج الله البحرين العذب والمالح، خلطهما حتى التقيا"^(٣)، وقال الزجاج: "مرج خلط"^(٤)، وقال ابن جرير: "وأصل المرج الخلط"^(٥).

المعنى الثاني: اضطراب وقلق، قال ابن فارس: "الميم والراء والجيم أصل صحيح يدل على مجيء واضطراب، وقال: مرج الخاتم في الأصبع يعني: قلق"^(٦)، قال الأزهري: "وأصل المرج القلق، يقال: مرج الخاتم في يدي مرجاً، إذا قلق"^(٧)، وجاء نفس المعنى في (الصحاح)

للجوهرى، و(لسان العرب) لابن منظور .

المعنى الثالث: الإرسال والتخلية، قال ابن منظور: "المرج: مصدر مرج الدابة يمرجها، وهو إرسالها للرعى في المرج، وأمرجها: تركها تذهب حيث شاءت"^(٨)، قال ابن سيده: "ومعنى مرج أرسلهما"^(٩).

- حاجز: جاءت في آية النمل، وهي بمعنى الفصل والمنع، قال ابن منظور: "من حجز، والحجز: الفصل بين الشئين، حَجَزَ بينهما يحجزُ حَجْزاً وحجزةً فاحتجز؛ واسم ما فصل بينهما: الحاجز"^(١٠)، وقال صاحب معجم اللغة: "اسم فاعل من حَجَزَ، والحاجز، الفاصل بين شئين، مانع وحائل"^(١١).

- ١- لسان العرب، ابن منظور (٣٦٥/٢).
- ٢- المفردات في غريب القرآن، الراغب (ص ٧٦٤).
- ٣- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (٢٠٧/٦).
- ٤- لسان العرب، ابن منظور (٣٦٥/٢).
- ٥- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢٨١/١٩).
- ٦- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٣١٥/٥).
- ٧- تهذيب اللغة، الأزهري (٥٠/١١).
- ٨- ينظر لسان العرب، ابن منظور (٢٠٧/٦).
- ٩- المخصص، ابن سيده (١٣/٣).
- ١- لسان العرب، ابن منظور (٣٣١/٥).
- ٢- معجم اللغة العربية، د.أحمد مختار وآخرون (٤٤٨/١).

- برزخ: جاءت في آية الفرقان والرحمن، وهي بمعنى الفصل والأمر بين الشيين، قال الخليل بن أحمد: "ما بين كل شيئين، والميت في البرزخ؛ لأنه بين الدنيا والآخرة"^(١)، وقال الأزهري: "ما بين كل شيئين"، وتأتي بمعنى الحاجز والمهلة^(٢).

قلت: الفرق بينه وبين الحاجز، أن البرزخ له معنى آخر، وهو الأجل والمهلة والمدة.

- يلتقيان: الالتقاء: مأخوذ من اللقاء، قال الزبيدي: "وهو المحاذاة"^(٣)، وقال الراغب: "هو مقابلة الشيء ومصادفته معاً، ويُعبّر به عن كلّ منهما"^(٤)، وفي المعجم الوسيط: "التقى الشئان: اجتمعا أو تحاذيا"^(٥).

المبحث الثاني: تفسير القرآن للآيات:

إن أولى ما يُفسّر به القرآن هو القرآن، فإن القرآن يفسّر بعضه بعضاً، قال ابن تيمية: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسر في موضع آخر، وما أُخْصِرَ من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر^(٦).

قد بيّن الله ﷻ أن البحرين أحدهما عذب فرات، والآخر ملح أجاج، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا) [الفرقان: ٥٣].

وقد تقدم في معنى المَرَج، أنه بمعنى الخلط، فيكون معنى الآية أنه يوجد في بعض المواضع التقاء واجتماع الماء المالح والماء العذب في مجرى واحد، ومع ذلك لا يختلط أحدهما بالآخر، فلا يطغى طعم أحدهما، ولا يغلب وصف أحدهما على الآخر، فيكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى، وهذا الذي جاء مفسراً في القرآن نفسه، في قوله تعالى: (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) [النمل: ٦١]، وقوله تعالى (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) [فاطر: ١٢]، وقوله تعالى: (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) [الرحمن: ١٩].

والبرزخ الفاصل بين البحرين المذكور في قوله تعالى: (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا) [الفرقان: ٥٣] وقوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) [الرحمن: ١٩-٢٠]، قد بين الله تعالى في سورة النمل أنه حاجز حجّز به بينهما، ومنع اختلاطهما، فقال تعالى: (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) [النمل: ٦١].

٣- كتاب العين، الخليل بن أحمد (٤/٣٣٨).

٤- تهذيب اللغة، الأزهري (٧/٢٧١)، بتصرف.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (٣٩/٤٧٣).

٦- المفردات، الراغب (ص: ٧٤٥).

٧- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون (٣/٢٠٣١).

٨- مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية (٣٩).

المبحث الثالث: أقوال المفسرين في الآيات:

القول في قول الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) [الفرقان: ٥٣]، وقوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) [الرحمن: ١٩].

ترجع غالبُ آراء المفسرين للآية إلى المعنى اللغوي للمرج، وهو الخلط على معنى، والإرسال والتخلية والخلع على المعنى

الآخر، قال ابن عباس: "يعني أنه خلع أحدهما"^(١)، وبنحوه قال الضحاك، وزاد: "فلا يغير أحدهما طعم الآخر"^(٢)، وقال مجاهد: "أفاض أحدهما في الآخر"^(٣)، قال ابن جرير الطبري: "والله الذي خلط البحرين، فأمرج أحدهما في الآخر، وأفاضه فيه، ثم يقال للتخلية مَرَج؛ لأن الرجل إذا خلّى الشيء حتى اختلط بغيره، فكأنه قد مَرَجَه"^(٤).

فيكون المعنى أنه ﷺ خلطهما وأفاض أحدهما في الآخر، أو أرسلهما في مجاريهما وخلّاهما حتى التقيا ومن ثمّ اختلطا، كما في قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) [الرحمن: ١٩]، وفي هذا المعنى قال سيد قطب: "وهو الذي ترك البحرين يجريان ويلتقيان، فلا يختطان ولا يمتزجان"^(٥).

وقد فسّر ابن عطية المَرَج في الآية بتفسير لطيف، فقال: "والذي أقول به في الآية إن المقصد بها التنبيه على قدرة الله تعالى وإتقان خلقه للأشياء في أن بث في الأرض مياهها عذبة كثيرة من أنهار وعيون وأبار، وجعلها خلال الأجاج وجعل الأجاج خلالها، فتلقي البحر قد اكتنفته المياه العذبة في ضفتيه، وتلقى الماء العذب في الجزائر ونحوها قد اكتنفه الماء الأجاج فبثها هكذا في الأرض هو خلطها، وهو قوله مَرَج"^(٦).

وفي قوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) [فاطر: ١٢]، بيّن الله ﷻ أن البحرين أحدهما عذبٌ فرات، وملحٌ أجاج، وقد وردت أقوال في تعيين البحرين أرجأتها في المبحث التالي لمناسبتها هناك.

قال الأزهري: "الفرات: أعذب المياه، يقال: فَرَّتَ الماءُ يَفْرُتُ فُرُوتَةً، إذا عَذِبَ فَهُوَ فُرَاتٌ، والأجاج الماءُ المُرُّ المِلْحُ، وهو الشديد الملوحة والمرارة، مثل ماء البحر"^(٧)، وقال ابن جرير: "يعني بالعذب الفرّات: مياه الأنهار والأمطار،

١ - جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢٨٢/١٩).

٢ - جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢٨٣/١٩).

٣ - تفسير مجاهد، مجاهد (ص: ٥٠٥).

٤ - جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢٨١/١٩).

٥ - في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٥٧٢/٥).

٦ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٢١٤/٤).

٧ - تهذيب اللغة، الأزهري (١٩٣/١٤).

وبالملح الأجاج: مياه البحار" (1)، وقال ابن كثير: "فالبحر العذب هو هذا السراح بين الناس، فرقه تعالى بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهاراً وعيوناً في كل أرض، والملح الأجاج أي مالِحٌ مُرٌّ زُعاقٌ لا يستساغ، وذلك كالبحار المعروفة وما شاكلها وشابها من البحار الساكنة التي لا تجري" (2)، وقال النيسابوري: "لعل المراد من البحر العذب الأودية العظام، ومن البحر الأجاج البحار المشهورة" (3).

وأما قوله تعالى: (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا) [الفرقان: ٥٣]، وقوله تعالى: (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) [النمل: ٦١]، وقوله تعالى: (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) [الرحمن: ٢٠].

فتقدم في المبحث الأول أن البرزخ والحاجز مترادفا المعنى، وهو معنى يدل على الفصل والمنع والحجز بين الشيئين، إلا أنه قد وقع الاختلاف بين المفسرين في تفسيرها، فروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس بإسنادهما، قال: "البرزخ: الأرض بينهما"، وقال قتادة: "البرزخ: النُحوم"، وقال مجاهد: "محبساً، وعنه: "حاجزاً لا يراه أحد"، وقال الحسن: "البيس من الأرض"، وقال الضحاك: "حاجزاً حَجَزَ أحدهما عن الآخر بأمره وقضائه" (4)، ورَجَّحه إمام المفسرين ابن جرير، حيث قال: "وإنما عنى بذلك أنه من نعمته على خلقه، وعظيم سلطانه، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج، ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته، وإفساده إياه بقضائه وقدرته، لئلا يضرَّ إفساده إياه بركبان الملح منهما، فلا يجدوا ماءً يشربونه عند حاجتهم إلى الماء، فقال جل ثناؤه: (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا) [الفرقان: ٥٣]، يعني حاجزاً يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر" (5)، وقال به جِلَّةٌ من المفسرين، منهم الثعلبي والبغوي والزمخشري وابن عطية والرازي.

وقد أشار سيد قطب عند تفسيره للبرزخ والحاجز بحقيقة كونية، فقال: "إنما يكون بينهما برزخ وحاجز من طبيعتهما التي فطرها الله، فمجاري الأنهار غالباً أعلى من سطح البحر، ومن ثمَّ فالنهر العذب هو الذي يصب في البحر الملح، ولا يقع العكس إلا شذوذاً، وبهذا التقدير الدقيق لا يطغى البحر - وهو أضخم وأغزر - على النهر الذي منه الحياة للناس والأنعام والنبات، ولا يكون هذا التقدير مصادفةً عابرةً وهو يَطْرُدُ هذا الاطراد، إنما يتم بإرادة الخالق الذي أنشأ هذا الكون لغاية تحققها نواميسه في دقة وإحكام، وقد روعي في نواميس هذا الكون ألا تطغى مياه المحيطات الملححة على الأنهار واليابسة حتى في حالات المد والجزر التي تحدث من جاذبية القمر للماء الذي على سطح الأرض، ويرتفع بها الماء ارتفاعاً عظيماً" (6).

وقال صاحب التفسير الوسيط مفسراً هذا الحاجز: "إنه - سبحانه تعالى - خلق الأرض كروية، وأن الارتفاع الكروي هو الذي يمنع أن يبغي أحدهما على الآخر، ويدل على ذلك أن الشمس تشرق في أرض قبل أخرى، وتغرب في أرض قبل أخرى،

٨- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢٨٣/١٩).

٩- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١١٧/٦).

١٠- غرائب القرآن و رغائب الفرقان، نظام الدين (٢٥٠/٥).

١١- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٤٧٣/١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم، الرازي (٢٧٠٨/٨).

١- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢٨٣/١٩).

٢- في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٥٧٢/٥).

بسبب هذا التكوير، فيبقى كل منهما في مكانه لا يبغي على الآخر، ولا يمنع لقاؤهما في طرفيهما من أن يبقى ما وراء هذا اللقاء حافظاً لخواصه، فتبارك الله أحسن الخالقين"^(١).

وقال في التيسير في أحاديث التفسير: "وقد جعل الله جاذبية الأرض عوناً للأنهار، حتى يمكنها أن تصب في البحر، كما جعل الجاذبية لجاماً للبحر حتى لا يصب في النهر ولا يطغى عليه وهذه المعاني هي بعض ما يشير إليه قوله تعالى: (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا) [الفرقان: ٥٣]، أي جعل بينهما حاجزاً تلقائياً، ومانعاً طبيعياً"^(٢).

فائدة: قال ابن كثير: "كل هذه البحار الساكنة خلقها الله سبحانه وتعالى مألحة الماء، لئلا يحصل بسببها نتن الهواء، فيفسد الوجود بذلك، ولئلا تَجْوَى الأرض بما يموت فيها من الحيوان، ولما كان ماؤها ملحاً كان هواؤها صحيحاً ومينتها طيبة"^(٣).

المبحث الرابع: المراد بالبحرين:

بيّن الله سبحانه وتعالى في الآيات أن البحرين أحدهما عذبُ فرات، والآخر ملحُ أجاج، وقد وردت أقوالٌ في تعيين البحرين. أحدها: بحر السماء وبحر الأرض، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد، والثاني: بحر فارس والروم، وهو قول الحسن^(٤)، وقال بعضهم: بحر السماء وبحر تحت الأرض، وقال بعضهم: بحر الروم وبحر الهند، وقال السدي: "بحر الشام وبحر العراق"^(٥)، وقال ابن عاشور: "نهر الفرات والدجلة وبحر خليج العجم"^(٦).

قلت: لا يتنافى هذا التعيين للبحرين مع صريح القرآن المبين، وتقدم أن الماء العذبُ الفُرات هي مياه الأنهار و الأبار والعيون، فرّقه الله بين خلقه في كل أرض بحسب حاجتهم وكفايتهم، فهو بحرٌ كبيرٌ واسعٌ سارخٌ في الأرض بين الناس، وأن الماءَ الملحُ الأجاج هي مياه البحار والمحيطات الواسعة المعروفة.

فيصح أن يُطلق على الأنهار اسم "البحر" بطريق المجاز، لشبهها به في كثرة الماء واتساع الرقعة، فيقال للنهر العذب الكبير الواسع "بحر" كما يقال للبحر الأجاج العظيم "بحر"، وهذا الالتقاء بين الأنهار العذبة والبحار المالحة يُرى في مواضع من العالم رأي العين، ولا شك أنه مصدر هذا التعيين.

٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء (١٢١٠/٩).

٤- التيسير في أحاديث التفسير، الناصري (٣٣٧/٤).

٥- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١١٧/٦).

٦- تفسير ابن أبي حاتم، الرازي (٢٧٠٨/٨).

٧- تفسير تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي (٣٤/٨).

٨- التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥٤/١٩).

المبحث الخامس: أوجه الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للآيات:

إن الإشارات القرآنية إلى الحقائق الكونية والطبيعية كانت لا تخفى على القرون التي عاصرت التنزيل، ولا على من بعدهم من التابعين ومن بعدهم إلى العصر الحالي، عصر الاختراعات والاكتشافات، وإنما لم يتيسر لهم من الآلات والتقنية والاكتشافات العلمية ما يربطون به بين ما فهموه من الإشارات القرآنية وتحقيق حقائقها الكونية التي ربما بعضها كان مريناً رأي العين كالتقاء البحرين والخسوف والكسوف.

وهو ما أشرنا إليه في ضوابط الإعجاز العلمي، وهو ثبوت عدم إمكانية معرفة البشر بتلك الحقيقة الكونية على وجهها الذي يتحقق معه الإعجاز وقت تنزيل القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وتحت هذا المبحث مطلبان كالآتي.

المطلب الأول: التفسير العلمي للآيات:

لقد جاء العلم الحديث وتطوّرت معه معرفة الإنسان بعلم البحار والمحيطات، وازداد فهمها لها عن طريق الأقمار الصناعية والتصوير عن بعد، وأخذ يبحث عن كيفية اللقاء بين البحر والنهر، ودرّس عينات من الماء حيث يلتقي النهر بالبحر، ودرّس درجات الملوحة والعذوبة بأجهزة دقيقة، وقاس درجات الحرارة، وحدّد مقادير الكثافة، وجمّع عينات من الكائنات الحية وقام بتصنيفها، وحدّد أماكن وجودها، ودرّس قابليتها للعيش في البيئات النهرية والبحرية^(١)، وتوصّل إلى نتائج شتى وحالات متعددة فسّرت هذه الظاهرة الكونية، مبيّنة الوجه الإعجازي في التقاء البحرين، حيث لا يتجاوز فيها ماء أحدهما على الآخر ولا يتعدى الحاجز الموضوع للفصل بينهما، فمن هذه الدراسات والأبحاث، قالوا:

١- إن دورة المياه في الكون والتي تبدأ بتبخّر كميات هائلة من سطح المحيطات، وتتكون منها السحب وتنزل على اليابسة مطراً ينبت به الزرع وتحبى الأرض بعد موتها، وهذه المياه كميات لا يستهان بها وهي مياه عذبة، فارتفاعها من المحيطات لا يزيد من نسبة ملوحة المياه في البحر وتبقى نسبة الملوحة كما هي، كما أن الأمطار التي تشكل السيول والأنهار تصب ثانية في البحار والمحيطات حاملة معها ملوحة الأرض وشيئاً من المعادن والأترربة لا يجعلها تطغى على البحر بل يبقى البحر ملحاً أجاجاً بنسبة واحدة^(٢).

١- بحث أسرار البرزخ بين البحرين والحواجر المائية، الزندانى.

٢- مباحث في إعجاز القرآن، مجموعة باحثين (ص: ١٩٢).

٢- إن مستوى سطح الأنهار أعلى في العادة من مستوى سطح البحر، ومن ثمَّ لا يبغى البحر على الأنهار التي تصب فيه، ويغير مجاريها بمائه المِلْح فيحوّلها عن وظيفتها ويبغي على طبيعتها، وبينهما دائماً هذا البرزخ من صنع الله فلا يبغيان^(١).

٣- ويقرر علماء البحار أن الأنهار الضخمة تشكل عند مصباتها أشبه ما يكون ببحيرات خاصة، لها خواصها من حيث المذاق فليست هي بالمياه العذبة كمياه النهر، وليست بالمياه المالحة الأجاج كما هي الحال في مياه البحر، وهذه المنطقة تعيش فيها الكائنات الحية التي لا تستطيع الخروج إلى مياه البحر لعدم ملاءمة البيئة لها فتهلك، ولا تستطيع الخروج إلى مياه النهر لعدم إمكان العيش فيها أيضاً، فهذه المنطقة حجر محجور، يحجز كائناته الخاصة وطبيعتها مياهه عن الاختلاط بغيره، ومحجور عن المياه الأخرى، فسبحان الذي جعل بين البحرين برزخاً وحجراً محجوراً^(٢).

٤- وقال بعضهم: "إن هنالك حاجزاً بين البحار أنفسها يمكن تمييز خاصيات ماء كلِّ بحرٍ على جانبي الحاجز، وكذلك ما فيها من معادن وكائنات حية، يقول صاحب لفتات علمية: "نشرت بعثة السيرجون أفري مع بعثة الجامعة المصرية وخفر السواحل لدرس أعماق البحر الأحمر، والمحيط الهندي في جنوب عدن، نشرت بعض الملاحظات منها:

أ- أن البعثة وجدت المياه في خليج العقبة تختلف في خواصها وتركيباتها الطبيعية والكيميائية عن المياه في البحر الأحمر، وحققت البعثة (بواسطة قياس الأعماق) وجود حاجز مغمور عند مجمع البحرين يبلغ ارتفاعه أكثر من ألف متر.

ب- وكذلك تبيّن وجود حاجز مغمور بين المحيط الهندي والبحر الأحمر، وأثبتت التحاليل الكيميائية أن مياه المحيط الهندي تختلف في خواصها الطبيعية والكيميائية عن مياه البحر الأحمر، ومرجع ذلك إلى وجود هذا الحاجز المغمور عند ملتقى كل بحرين"^(٣).

٥- ثبت أن أعظم الأنهار على الإطلاق موجودة داخل البحار، يقول فرديناند لين: "وتوجد أعظم أنهار الدنيا في البحر، ويبدو نهر المسيسي أو حتى نهر النيل أو نهر الأمازون بجانبها وكأنه غدير، يبدو غريباً أن تستطيع تيارات المياه أن تتحرك لمثل هذا البعد خلال مياه أخرى دون أن تختلط بها، ولكن أي مجرى من الماء أدفاً أو أبرد من الماء المحيط من كل الجهات يستمر في جريانه بمفرده لزم من طويل، وفي بعض الأحيان تتميز ضفتاه بوضوح يشبه تقريباً وضوحهما لو كان المجرى على الأرض اليابسة، وقد يختلف أيضاً تيار الماء المتحرك في لونه عن ماء البحر المحيط به"^(٤).

٣- مباحث في إعجاز القرآن، مجموعة باحثين (ص: ١٩٢).

٤- مباحث في إعجاز القرآن، مجموعة باحثين (ص: ١٩٢).

١- لفتات علمية في القرآن، يعقوب يوسف (ص: ٥٧).

٢- كل شيء عن البحر، فرديناند لين (ص: ٤١)، ترجمة الدكتور محمود محمد رمضان.

وقال أيضاً: "وتوجد حركات أخرى في البحر هي أعظم حتى من التيارات السطحية، وهذه هي صعود المياه الأدفأ والمياه الأخفض، وهبوط المياه الأثقل والمياه الأبرد، وفي البحار القطبية تغوص المياه الباردة إلى أسفل وتزحف على قاع المحيط كما أن المياه الدافئة في المناطق الحارة تندفع ببطء على السطح تجاه القطبين"^(١).

٦- لقد اكتشف العلماء وجود ينابيع عذبة تتدفق داخل المحيطات والبحار مصدرها المياه الجوفية المختزنة في طبقات الأرض، ويمكن القول بأن عملية امتزاج الماء المالح بالماء العذب لا تقتصر على الأنهار بل هنالك مياه مخزنة تحت الأرض أيضاً تتدفق وتمتزج بمياه البحر، ويحدث اختلاط واضطراب واختلاف في درجات الملوحة والحرارة، وبالتالي فإن التعبير القرآني (مرج البحرين) ينطبق على هذه الحالة^(٢).

٧- لم يُعرف أن البحار المالحة مختلفة في التركيب وليست بجرأ متجانساً واحداً إلا عام ١٨٧٣ عندما طافت رحلة تشالنجر في البحار ثلاثة أعوام، فعرف الإنسان أن المياه في البحار تختلف في تركيبها عن بعضها من حيث درجة الملوحة، ودرجة الحرارة، ومقادير الكثافة، وأنواع الأحياء المائية.

٨- البرزخ المائي هو منطقة تقع على مصبات الأنهار عندما يلتقي النهر مع البحر، أي عندما يلتقي الماء العذب بالماء المالح، وهي منطقة تعتبر مغلقة ومحاطة بحاجز مائي أو من اليابسة، وتحظى هذه المناطق باهتمام كبير من قبل العلماء، فقام باحثون بأخذ عينات من ماء ورواسب هذه المنطقة، ولاحظوا اختلافات كبيرة في هذه البيئة، كما وجدوا اختلافات كبيرة في كثافة المياه ودرجة ملوحتها ودرجة حرارتها من منطقة لأخرى، ومن لحظة لأخرى، ومن فصل لآخر، أي أن هنالك عملية مزج وخط وتداخل مستمر للماء العذب والماء المالح، مع العلم أن سطح البحر يظهر للعين وكأنه مستقر.

ويمكن أن يمتد تأثير المياه العذبة على المياه المالحة لمئات الكيلو مترات في البحر، وبالرغم من وجود الكثير من مصبات الأنهار في العالم، إلا أنه لا يوجد برزخ يشبه الآخر! فكل برزخ يتميز بخصائص محددة عن غيره تتبع الاختلاف في درجة الملوحة، والاختلاف في درجة الحرارة، وهذا يتبع درجة ملوحة ماء البحر، وطول النهر، وغير ذلك من العوامل مثل درجة الحموضة وكمية العوالق في ماء النهر وسرعة تدفق ماء النهر^(٣).

وأول من لاحظ وجود حاجز مائي بين المياه الجوفية العذبة ومياه البحار المالحة العالم الهولندي غيبين (Baden-Ghyben) في عام ١٨٨٨م، والعالم الألماني هيرزبيرغ (Herzberg) في عام ١٩٠١م، ولقد تمكن العالمان وبشكل مستقل من اشتقاق علاقة تحدد عمق الحاجز عن سطح البحر، ولهذا سميت العلاقة بإسميهما وهي علاقة غيبين-هيرزبيرغ (Baden-Ghyben-Herzberg relation)،

٣- كل شيء عن البحر، فرديناند لين (ص: ٤٨)، ترجمة الدكتور محمود محمد رمضان.

٤- أسرار البرزخ المائي، الكحيل، مقال منشور على موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي على شبكة الانترنت.

٥- أسرار البرزخ المائي، الكحيل، مقال منشور على موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي على شبكة الانترنت.

وتعتمد العلاقة في اشتقاقها على حقيقة أن كثافة الماء المالح تزيد عن كثافة الماء العذب بنسبة [٤٠-٤١] حيث تبلغ كثافة الماء المالح ١.٠٢٥ جم لكل سم مكعب، بينما تبلغ كثافة الماء العذب جرام واحد لكل سم مكعب، وبناءً على هذه الحقيقة وجد العالمان أن عمق الحاجز الموجود بين المائين تحت سطح البحر يبلغ أربعين ضعف ارتفاع مستوى الماء العذب فوق سطح البحر، وهذا يعني أن مثل هذا الحاجز لن ينشأ إذا تساوى مستوى الماء العذب مع مستوى الماء المالح، وهذا الحاجز المائي يكون على شكل جدار من الماء يحيط تماماً بكامل المياه الجوفية من جهة الماء المالح، ويبدأ أعلاه من سطح البحر المالح ويمتد إلى الأسفل، ولكن ليس بشكل رأسي بل يميل بشكل منحنى باتجاه المياه العذبة إلى أن يصل إلى قاع المياه العذبة. لقد تبين لهذين العالمين أن وجود مثل الحاجز بين الماء المالح والماء العذب يمنع منعاً باتاً انتشار جزيئات الملح من الماء المالح إلى الماء العذب، وهو ما يخالف القانون الطبيعي الذي ينص على أن جزيئات المادة في السوائل والغازات تنتشر من الوسط الأكثر تركيزاً إلى الوسط الأقل تركيزاً بهذه الجزيئات، إن الحاجز الذي ينشأ بين الماء المالح والماء العذب ليس حاداً فاصلاً (sharp boundary) لا عرض له، بل هو منطقة لها سمكٌ محددٌ يهبط فيها تركيز الملح بشكل تدريجي من مستواه في جهة الماء المالح إلى مستواه في جهة الماء العذب، أطلق عليها اسم الماء الآسن أو الكريه (brackish water or fresh/salt mixture)، وقد أطلق العلماء اسم برزخ الماء المالح - الماء العذب (saltwater-freshwater interface or transition) على هذا الحاجز المائي الذي يفصل ما بين المائين^(١).

إن البرزخ المائي لا يقتصر دوره على منع اختلاط المياه المالحة مع العذبة بل يقوم برفع مستوى هذه المياه من خلال دخول المياه المالحة تحت المياه العذبة التي تطفو فوقها بسبب انخفاض كثافتها.

كما اكتشف باحثون بعد عدّة دراساتٍ مسحيةٍ لمناطق اللقاء بين الأنهار والبحار النتائج الآتية:

١- أنه يوجد حاجز مائي يحيط بمنطقة المصب ويحافظ على هذه المنطقة بخصائصها المميزة لها، حتى ولو كان النهر يصب إلى البحر من مكان مرتفع في صورة شلال.

٢- عدم اللقاء المباشر بين ماء النهر وماء البحر في منطقة المصب بالرغم من حركة المد والجزر الفيضان والانحسار التي تعتبر من

أقوى عوامل المزج، لأن البرزخ المحيط بمنطقة المصب يفصل بينهما.

٣- يمتزج ماء النهر بماء البحر بصورة بطيئة مع وجود المنطقة الفاصلة من مياه المصب والبرزخ المائي الذي يحيط بها ويحافظ على وجودها.

١ مرج البحرين، أبو شريعة، مقال منشور على موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة على شبكة الانترنت.

٤- تختلف الكتل المائية الثلاث (ماء النهر، ماء البحر، وماء المصب) في الملوحة والعذوبة، وقد شاهد الباحثون الذين قاموا بتصنيف الكائنات الحية الموجودة فيها ما يلي:

أ- معظم الكائنات التي في البحر والنهر والمصب لا تستطيع أن تعيش في غير بيئتها، في حين يوجد بعض الأنواع القليلة مثل سمك السلمون، وطحابين البحر تستطيع أن تعيش في البيئات الثلاث، ولها قدرة على أن تتكيف مع كل بيئة.

ب- بتصنيف البيئات الثلاث باعتبار الكائنات التي تعيش فيها تعتبر منطقة المصب منطقة جبر على معظم الكائنات الحية التي تعيش فيها، لأنها لا تستطيع أن تعيش إلا في نفس الوسط المائي المناسب في ملوحته وعذوبته مع درجة الضغط الاسموزي في تلك الكائنات، وتموت إذا خرجت من المنطقة المناسبة لها، وهي منطقة المصب، وهي في نفس الوقت منطقة محجورة على معظم الكائنات الحية التي تعيش في البحر والنهر، لأن هذه الكائنات تموت إذا دخلتها بسبب اختلاف الضغط الاسموزي^(١).

٩- في عام ١٩٤٢ فقط ظهرت لأول مرة نتيجة أبحاثٍ طويلةٍ جاءت نتيجة إقامة مئات المحطات البحرية في البحار، فوجدوا أن المحيط الأطلنطي مثلاً لا يتكون من بحرٍ واحدٍ بل من بحارٍ مختلفة، وهو محيط واحد فتختلف كتلته المائية في درجات الحرارة والكثافة والملوحة والأحياء المائية وقابلية ذوبان الأكسجين، هذا في المحيط الواحد، فضلاً عن بحرين مختلفين كالبحر الأبيض والبحر الأحمر، والبحر الأبيض والمحيط الأطلنطي، والبحر الأحمر وخليج عدن، ففي ١٩٤٢ عُرف لأول مرة أن هناك بحاراً تلتقي فيها المياه لكن بعضها يختلف عن بعض في الخصائص والصفات، ومياه البحار ليست ساكنة، وإنما في حركة دائبة تجعل كتل المياه تتداخل فيما بينها، لكنها تظل محافظة على صفات كل منها في درجة الملوحة ودرجة الحرارة والكثافة، ويعتبر المد والجزر والتيارات المائية والأمواج والأعاصير كلها عوامل تجعل مياه البحار في حركة دائمة، ومع ذلك لا تمتزج الكتل البحرية المتباينة الخصائص وكان هناك حاجزاً يفصل بين كل بحرين متجاورين^(٢).

١٠- بينت نتائج دراسة سفينة البحوث (مختبر البحار) التابعة لجامعة قطر في الخليج العربي وخليج عمان في الفترة (١٤٠٤-١٤٠٦ هـ - ١٩٨٤-١٩٨٦ م) وتضمن البحث مقارنة واقعية بين الخليجين بالأرقام والحسابات والرسومات والتحليل الكيميائي، وبين اختلاف خواص كل منهما عن الآخر من الناحية الكيميائية والنباتات السائدة في كل منهما، ووضّح البحث وجود منطقة بين الخليجين تسمى في علم البحار (منطقة المياه المختلطة) Mixed-Water Area (منطقة البرزخ)، وأن عمود الماء في هذه المنطقة يتكون من طبقتين من المياه، إحداها سطحية أصلها من خليج عمان، والأخرى سفلية أصلها من الخليج العربي، أما في المناطق البعيدة والتي لا يصل إليه تأثير عملية الاختلاط (Mixing) بين الخليجين فإن عمود الماء يتكون من طبقة واحدة متجانسة وليس من طبقتين، وأكدت النتائج أنه برغم هذا الاختلاط في المناطق التي بها مياه مختلطة،

١- أسرار البرزخ المائي، الكحيل، مقال منشور على موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي على شبكة الإنترنت.
٢- مباحث في إعجاز القرآن، مسلم وآخرون (ص١٩٢)، وأسرار البرزخ المائي، الكحيل، مقال منشور على شبكة الإنترنت.

وتواجد نوعين من المياه فوق بعضهما البعض فإن حاجزاً ثابتاً له استقرار الجاذبية وقوتها (Gravitational Stability) يقع بين طبقتي المياه، ويمنع مزجها أو تجانسها حيث يتكون بذلك مخلوط غير متجانس (Heterogeneous Mixture)، وأوضحت النتائج أن هذا الحاجز إما أن يكون في الأعماق (من 10 إلى 50 متر) إذا كان اختلاط مياه الخليجين رأسياً، أي أن أحدهما فوق الآخر، وإما أن يكون هذا الحاجز على السطح إذا تجاوزت المياه السطحية لكل من الخليجين⁽¹⁾.

إن هذا الاكتشاف المذهل لحقيقة التقاء البحار والبرازخ المائية بينها، ودورها في منع مياه البحار المالحة من تلويث المياه العذبة رغم اختلاطهما الظاهري، لا يترك لأي إنسانٍ عاقلٍ ومنصفٍ مجالاً للشك في صدق هذا القرآن الكريم، بل إن معظم البشر اليوم يجهلون وجود هذه الحواجز المائية بين المياه المالحة والعذبة رغم أن حياة أكثرهم تقوم على هذه الظاهرة العجيبة، فهل كان ممكناً لبشرٍ عاش قبل أربعة عشر قرناً أن يتكلم عن وجود مثل هذه الظاهرة الكونية بهذه الدقة التي لا يمكن أن ترى، من أين جاء هذا العلم لمحمد عليه الصلاة والسلام إن لم يكن من عند الذي أحاط بكل شيء علماً، وصدق الله العظيم إذ يقول: (سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت: ٥٣].

المطلب الثاني: أوجه الإعجاز العلمي في الآيات:

- في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبُحْرَيْنِ) [الفرقان: ٥٣]، وقوله تعالى: (مَرَجَ الْبُحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) [الرحمن: ١٩] حديثٌ عن العمليات الفيزيائية التي تحصل فعلاً في منطقة الالتقاء بين البحرين، وهي عمليات خلطٍ مستمرٍ وذهابٍ وإيابٍ للماء، وهذا هو تماماً ما تعنيه هذه الكلمة.

- أن تلتقي البحار المالحة مع البحار العذبة دون أن تختلط مياههما من خلال وجود البرزخ والحاجز، كما تبدو المحيطات والبحار المالحة المتجاورة بالعين المجردة كأنها كتلة مائية واحدة متحدة الصفات، لكنها في الحقيقة جملةٌ كتلٍ مختلفة الصفات في الملوحة والحرارة والكثافة.

- في قوله تعالى: (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَّحْجُورًا) [الفرقان: ٥٣]، وقوله تعالى: (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبُحْرَيْنِ حَاجِزًا) [النمل: ٦١] حديثٌ عن وجود برزخ، وهو منطقة تفصل بين ماء النهر وماء البحر، وهذه المنطقة أو هذا البرزخ هو ما يسميه العلماء بمنطقة المصب أو Estuary طبعاً هذه المنطقة تتشكل بسبب القوانين التي أودعها الله في الماء، وتسمى بقوانين ميكانيك السوائل.

- في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبُحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) [الفرقان: ٥٣] حديثٌ عن الاختلاف الكبير في درجة الملوحة بين ماء النهر وماء البحر، وهذا ما نراه فعلاً، فماء النهر يكاد يخلو من الملح إلا بنسبة ضئيلة جداً، بينما نجد أن المتر المكعب من ماء البحر يحوي ٣٥ كلجم من الملح!

٣- أسرار البرزخ المائي، الكحيل، مقال منشور على موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي على شبكة الانترنت.

ولو أن القرآن وصف ماء النهر بالعذب فقط لكان هنالك خطأ علمي، إذ أن ماء النهر ليس عذباً مئة بالمئة، إنما هنالك بعض الأملاح والمعادن والمواد الأخرى التي تعطي هذا الماء طعماً مستساغاً، ولذلك قال تعالى: (عَذْبٌ فُرَاتٌ).

الأمر ذاته ينطبق على ماء البحر، فلم يقل القرآن (وهذا ملح)، ولو قال ذلك لكان هنالك خطأ علمي أيضاً، لأن جميع المياه في الأرض تحوي شيئاً من الأملاح بنسبة أو بأخرى، ولذلك قال تعالى: (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) [الفرقان: ٥٣] كإشارة إلى الملوحة الزائدة، وهذا التعبير دقيق من الناحية العلمية.

- تحدّث القرآن عن منطقة التقاء البحرين، وهي منطقة المصببات كما عرفنا، وتعتبر هذه المنطقة أكثر المناطق حساسية وذات أهمية بيئية كبيرة، وهي لذلك تستحق الذكر كنعمة من نعم الله علينا، حتى إن الكثير من الحضارات ازدهرت في مناطق المصببات، مثل دلتا النيل، والمنطقة بين نهر دجلة والفرات، ونهر التايمز في مدينة لندن، ونهر هيدسون في مدينة نيويورك، وإن القرآن عندما يتحدث عن هذه المنطقة إنما يؤكد أهميتها وتميزها، مع العلم أن هذه المعلومات لم تكن متوافرة لإنسان يعيش في جزيرة العرب التي لا أنهار فيها ولا بحار، وليس من الممكن لبشر أن يصف هذه المناطق بدقة مذهلة لو لم يكن رسولاً من عند الله تعالى! ولم يدرك ذلك إلا باستخدام التقنيات الحديثة، عندما شاء المولى أن يُريَ الإنسان تفاصيل هذه الآية فكشف لهم عن هذه التقنيات والآلات الدقيقة، وازدادوا بها علماً في هذا المجال، ومع كل كشف يتضح للإنسان حدود علمه، ولقد دل الوصف التاريخي لتطور علوم البحار على عدم وجود أية معلومات علمية في هذا الموضوع قبل أربعة عشر قرناً من الزمان عند نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن علوم البحار لم تتقدم إلا في القرنين الأخيرين وخاصة في النصف الأخير من القرن العشرين، وقبل ذلك كان البحر مجهولاً مخيفاً تكثر عنه الأساطير والخرافات، وكل ما يهتم به ركبوه هو السلامة، والاهتداء إلى الطريق الصحيح أثناء رحلاتهم الطويلة، وما عرف الإنسان أن البحار المالحة بحاراً مختلفة إلا في الأربعينات من هذا القرن، بعد أن أقام الدارسون آلاف المحطات البحرية لتحليل عينات من مياه البحار، وما عرف الإنسان البرزخ الذي يفصل بين البحار المالحة، إلا بعد أن أقام محطات الدراسة البحرية المشار إليها، وبعد أن قضى وقتاً طويلاً في تتبع وجود هذه البرازخ المتعرجة المتحركة.

وقد ألمح الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره العظيم إلى هذه الوجهة، حيث قال: "وقد أخبر جَلّ ثناؤه أنه مرّج البحرين، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات، مع اختلاط كلّ واحد منهما بصاحبه، فأما إذا كان كلّ واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه، فليس هناك مرّج، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس، ويذكرون به، وإن كان كلّ ما ابتدعه ربنا عجباً، وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ"^(١).

فثبت إدراكهم لهذا الوجه الذي دعاهم للاندھاش من بديع صنع الباري عز وجل، لكن لم يتوفر لهم ما يمكنهم من الربط بين هذه الإشارة القرآنية وتلك الظاهرة الكونية وقت تنزيل القرآن المعجز.

١ - جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢٨١/١٩).

الخاتمة

إن الظواهر الكونية العجيبة التي يكتشفها العلم والتجربة تدل على إعجاز القرآن، وإنها لتعزز وحدانية الله وقدرته، وتقرّر كمال العبودية له، ومن هذه الظواهر البحار والتقاؤها، وما يجري فيها من اضطراب وحركة، وما يجري بينها من اختلاط وامتزاج ظاهر، بينما لا يغيّر أحدهما الآخر، فيبقى كل ماء متميزاً بخصائصه وفيزيائياته الخاصة به.

واعنتى هذا البحث بهذه الظاهرة، وخُصّ الباحث بعد توفيق الله إلى جملة من النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أهم النتائج:

- يعتبر الإعجاز العلمي من الإعجاز الغيبي، الذي هو من أنواع إعجاز القرآن.
- وصف القرآن حركة البحار عند التقائها ومنطقة اللقاء وصفات كل بحرٍ بأوجزٍ تعبيرٍ وأدقٍ وصفٍ، مما تحار معه العقول عند تفسيره وبيان وجه إعجازه.
- الالتقاء يكون بين مياه البحار، وبين مياه البحار والأنهار، وتسمى منطقة التقاؤهما منطقة البرزخ، وفي العلم الحديث تسمى منطقة المصب المائي، وعادةً ما تكون عند التقاء مياه البحار بمياه الأنهار.
- تمكن العلماء والباحثون بما أعطاهم الله من علمه من اكتشاف حقائق التقاء البحرين، ودراسة خواص كل ماء، وكتلته وكثافته، مما فسّر لهم الحقيقة التي أخبر عنها القرآن قبل أربعة عشر قرناً، وهي عدم امتزاج البحرين، وبقاء كل بحرٍ متميزاً بخصائصه، مع أن جوهرهما واحد.
- كان أول اكتشاف لهذه الظاهرة عندما قامت السفينة البريطانية تشالنجر challenger برحلتها حول العالم من عام (1872-1876م)، حيث اكتشفوا سرّ اختلاف تركيب البحار المالحة.
- أول من لاحظ وجود حاجزٍ مائيّ بين المياه الجوفية العذبة ومياه البحار المالحة العالم الهولندي غيبين (Baden-Ghyben) في عام 1888م، والعالم الألماني هيرزبيرغ (Herzberg) في عام 1901م.
- تم رصد كثير من مناطق الالتقاء عن طريق الأقمار الصناعية والتصوير الحراري وتقنية التصوير عن بعد.

أهم التوصيات:

- العناية بكتاب الله من خلال تدبره والتفكير في آياته، فإنّ فيها تحقيق الغاية منه، وهي حصول الهداية.

- الاهتمام بجانب تفسير الآيات التي تحدّثت عن مظاهر الكون والطبيعة والطب والنفوس، فإنّها تكشف عن أمور تعزّز إيمانَ العبد، وتقوي يقينه بالله، لأنّ النفسَ مجبولةً على الإيمان بكل ما هو محسوس.
- لا بد عند التفسير العلمي للآيات من تحقيق التوافق بين وجوه الإعجاز العلمي وإشارات الآيات للظواهر الكونية، بما لا يُحمّل النصوص مالا تحتمل.
- الاهتمام بالدراسات الأجنبية وأبحاث الجامعات الغربية حول الظواهر الطبيعية والكونية والبشرية والطبية التي نجدها في القرآن.
- محاولة الدعوة والهداية إلى هذا الدين من خلال التوسع في دراسة الإعجاز العلمي على نحو صحيح، لأنّه يُعنى بجانب الأدلة العقلية التي تثبت صحة هذا الدين وصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنّ الله أنزل القرآن هدايةً للناس.
- مشاركة الندوات والمؤتمرات الدولية والعالمية التي تعنى بالدراسات العلمية من خلال أبحاث الإعجاز العلمي والتشريعي والغيبوي.

فهرس المراجع

- ابن تيمية، أحمد. ١٤٩٠هـ-١٩٨٠م. مقدمة في أصول التفسير، الطبعة الأولى، دار مكتبة الحياة-بيروت
- ابن سيده، علي. ١٤١٧هـ-١٩٩٦م. المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. ١٩٨٤هـ. التحرير والتنوير، الدار التونسية- تونس. (د.ط.).
- ابن عطية، عبد الحق. ١٤٢٢هـ. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية- بيروت.
- ابن فارس، أحمد. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. معجم مقاييس اللغة، دار الفكر- بيروت. (د.ط.).
- ابن كثير، إسماعيل. ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، دار طيبة- الرياض.
- ابن منظور، محمد. ٤١٤هـ. لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر- بيروت.
- أبو شريعة، منصور، مرج البحرين يلتقيان. ٢٠١٥م. نشر في موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. (د.ت).
<http://www.quran-m.com/quran/article>.
- الأزهري، محمد. ٢٠٠١م. تهذيب اللغة، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- الأهدل، عبد الله. التفسير العلمي للقرآن الكريم. (د.ط.). (د.ن.). (د.ت.).
- بنت الشاطي، عائشة. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، الطبعة الثالثة، دار المعارف-الرياض. (د.ت.).
- جبر، مجاهد. ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م. تفسير مجاهد، الطبعة الأولى، دار الفكر الإسلامي- مصر.
- الجوهري، إسماعيل. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين- بيروت.
- الخولي، أمين. ٢٠٠٣م. التفسير. معالم حياته، منهجه اليوم، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر.
- الذهبي، محمد. ٢٠٠٣م. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي- بيروت.
- الرازي، محمد. ١٤٢٠هـ. مفاتيح الغيب. التفسير الكبير، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي بيروت.

الراغب، الحسين. ١٤١٢ هـ. المفردات في غريب القرآن، الطبعة الأولى، دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت.
الرومي، فهد. ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦ م. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الطبعة الأولى، رئاسة البحوث العلمية والاقتناء- الرياض.

الرومي، فهد. ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م. دراسات في علوم القرآن الكريم، الطبعة الأولى، نشر المؤلف.
الزبيدي، محمد. تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية- القاهرة (د.ت). (د.ط).
الزندانى، عبد المجيد. أسرار البرزخ بين البحرين والحوجز المائية. ٢٠١٠ م. نشر على موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة على شبكة الانترنت، (د.ت).

<http://www.quran-m.com/quran/article>.

سيد قطب، إبراهيم. ١٤١٢ هـ. في ظلال القرآن، الطبعة الأولى، دار الشروق- بيروت- القاهرة.
السيوطي، عبد الرحمن. ١٣٩٤ هـ-١٩٧٤ م. الإتقان في علوم القرآن، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة،

الصباغ، محمد. ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م. لمحات في علوم القرآن، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).
الطبري، محمد. ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.
الغزالي، محمد. ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. جواهر القرآن، الطبعة الثانية، دار إحياء العلوم- بيروت.
الغزالي، محمد. إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت. (د.ت) (د.ط).
الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين، دار ومكتبة الهلال، (د.ت). (د.ط).
قدوري، غانم. ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م. محاضرات في علوم القرآن، الطبعة الأولى، دار عمار - عمان.

الكحيل، عبد الدائم، أسرار البرزخ المائي. ٢٠١٠ م. نشر على موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي على شبكة الانترنت، (د.ت).

<http://www.kaheel7.com/ar/index.php>.

لين، فرديناند، كل شيء عن البحر، ترجمة الدكتور محمود محمد رمضان، (د.ط.)، (د.م.)، (د.ت).

الماتريدي، محمد. ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. تفسير تأويلات أهل السنة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية- بيروت.

مجموعة من الباحثين، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، بحوث جامعة المدينة العالمية، كلية الدراسات القرآنية بجامعة المدينة العالمية، (د.ط.)، (د.ت).

مجموعة من العلماء، (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م). التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية- الهند.

مختار، أحمد. ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م. معجم اللغة العربية، الطبعة الأولى، عالم الكتب- بيروت.

مسلم، مصطفى. ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. مباحث في إعجاز القرآن، الطبعة الثالثة، دار القلم-دمشق.

المصلح وآخرون، عبدالله، عبدالجواد. ١٤٢٩هـ. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمي برابطة العالم الإسلامي- جدة. (د.ط.).

الناصري، محمد. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. التيسير في أحاديث التفسير، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي- بيروت.

النجار. زغول. ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م. السماء في القرآن الكريم، الطبعة الرابعة. دار المعرفة-بيروت.

النيسابوري، نظام الدين. ١٤١٦هـ. غرائب القرآن و رغائب الفرقان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية- بيروت.

41- Lane, Ferdinand C. 1914. All About The Sea, Copy no: 1. W. H. Allen-London.